**جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي**

**معهد العلوم الإسلاميّة**

**قسم أصول الدّين**

****

**السداسي الثاني مقياس:** توجيه القراءات

**التوجيه البلاغي للقراءات القرآنيّة عند المفسّرين**



**د. الصادق ذهب**

**السنة الدراسية: 2021/2022م**

**تمهيد**

بسم الله الرحمن الرّحيم, وبه نستعين, والصلاة والسلام على أشرف المرسلين, ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين, وبعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته, أيها الطلبة الأعزاء نُكمل الكلام عن التوجيه البلاغي ومع ظاهرة أخرى من الظواهر البلاغية التي اعتنى بها علماء القراءات واللغة وغيرهم, وهي ظاهرة الوصل والفصل.

**التوجيه البلاغي لظاهرة الوصل والفصل في القراءات القرآنية**

عاش فن الفصل والوصل في وجدان الناطق العربي، الذي احتاج أن يربط بين معنى ومعنى برابط، أو يقطع معنى عن معنى بقاطع، وهو في فصله ووصله يهدف إلى تحقيق غاية جمالية يسمو إليها؛ لأنه يحرص على أداء فكرته في وضوح لا لبس فيه لتصل إلى المخاطب في جمال وجلاء.

ولكون هذا الفن دقيق المسلك,لطيف المأخذ؛ جعله بعضهم حدّا للبلاغة, وقصرها عليه؛ حينما سُئل ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل والوصل. وتلك إشارة واضحة إلى العناية التي خُصّ بها هذا الفن.

      والنصوص تشهد أن الحس العربي والمصفّى كان يتوقع الوصل حين لا يجد وصلاً، ويبحث عن الفصل حين يفتقده، وكان يفاضل بين رابط ورابط حتى يستقيم الشكل مع المضمون، وقصة أبي بكر رضي الله عنه الذي رفض من الأعرابي قوله (لا عافاك الله) وطالبه بأن يقول (لا وعافاك الله) تدل على ذلك.

     والقرآن الكريم الذي خاطب هذه الطبيعة العربية كان يفصل بين المعاني ويربط بينها، وكان يلوّن العبارة مزاوجاً بين فصل ووصل ثقة بفهم المخاطَب, أو مراعاة منه لمقتضى الحال. ولم يتقيد في فصله بطرح الواو، بل استخدم معه أدوات أخرى، كما لم يقتصر في وصله على الواو أو على حروف العطف بل استخدم معها أدوات الربط الأخرى حسبما اقتضت الحاجة. والفصل والوصل في كل هذا يراعي دائماً إثارة عقول المخاطبين بمختلف درجات استيعابهم وإثارة أنفسهم بمختلف نزعاتها وميولها، وكذا عواطفهم وأذواقهم.

**أوّلا- مفهوم الوصل والفصل:**

إذا عرفنا بأنّ الوصل يدل على الضم والجمع الذي هو ضد الهجران, والفصل يدلّ على البعد بين الشيئين, وبأنّه يُقصد بالوصل والفصل في هذا الباب (الوصل والفصل بين الجمل), فإنّنا نستطيع تعريف الوصل عموما بأنّه؛ عطف بعض الجمل على بعض, والفصل هو : خلاف الوصل, أي: هو ترك عطف بعض الجمل على بعض.

وعُرّف الوصل عند أهل الاختصاص بأنّه: الرّبط بين الجملتين بحرف العطف الواو. والفصل هو: قطع الارتباط بين الجملتين. وكذلك: الوصل هو: عطف الجملة على الجملة بأحد حروف العطف, وهو الواو, والفصل هو: ترك العطف بين الجملتين.

فمفهوم الوصل والفصل كما نرى عند أهل الاختصاص متعلّق بمجيء الواو وتركها؛ لأنّ العطف بغيرها لا يقع فيه اشتباه, ولأنّ غيرها من حروف العطف تفيد مع الإشراك معاني.

**تنبيه:**

العلم بمواضع الوصل والفصل أمر يحتاجه المتكلم في التخاطب، ناهيك عن المفسِّر لكتاب الله، فالحاجة إليه أشدّ؛ لتعلقهما بالوحي.

ولكن يجب أن نعلم بأنّ التّمييز بين مواضع الوصل والفصل في كلام العرب عامة وفي القرآن خاصة ليس بالأمر السهل, كما قال صاحب الإيضاح, بأنّه: "صعب المسلك, دقيق المأخذ, لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علمًا بكنهه، إلا من أو تي في فهم كلام العرب طبعًا سليمًا، ورُزق في إدراك أسراره ذوقًا صحيحًا, ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل...وإنما حاول بقوله هذا التنبيه على مزيد غموضه, وأنّ أحدًا لا يكمُل فيه إلا كمُل في سائر فنونها فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان".

**ثانيا- مواضع الوصل والفصل وتطبيقاتها:**

لكلّ من الوصل والفصل مواضع, هي:

1. **مواضع الوصل:**

يُقصد بالمواضع تلك التي إذا توفّر فيها شرط من شروط الوصل التي بيّنها العلماء, وجب وصلها, نذكر منها:

**أ-** إذا اتّفقتا الجملتان خبرا أو إنشاء, وكان بينهما جهة جامعةٌ, أي مناسبة تامّة, ولم يكن مانع من العطف: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَالْجِبالَ أَوْتاداً وَخَلَقْناكُمْ أَزْواجاً وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً**... [النبأ: 6-12]. فهذه الآيات جاءت متفقة إنشاءً بجامع معنويّ؛ للاستدلال على قدرته تعالى على البعث والنشور الذي أنكره المشركون, وقد أشار الزمخشري إلى هذا الترابط, بقوله: "فإن قلت: كيف اتصال قوله: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً) بما قبله قلت: لمّا أنكروا البعث قيل لهم, ألم يخلق من يُضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالّة على كمال القدرة, فما وجه إنكار قدرته على البعث".

وهكذا تناسقت هذه الآيات على طريقة الوصل بجامع معنويّ؛ لغرض الاستدلال على الوحدانيّة بالانفراد بالخلق, وقدرة هذا الخالق على إعادة الأجساد للبعث بعد فنائها.

**ب-** إذا أَوْهم ترك العطف خلاف المقصود: كما إذا قيل لك: هل برىء علي من المرض؟ وقلت: لا, وأردت أن تدعوَ للسائل فلا بدّ من الوصل, فتقول: لا ورعاك الله, إذ لو فصلت بقولك: لا رعاك الله, لتوهّم أنه دعاء على المخاطب بعدم الرعاية, ولولا هذا الإيهام لوجب الفصل؛ لاختلافهما خبرا وإنشاء.

**2- مواضع الفصل:**

يُقصد بالمواضع تلك التي إذا توفّر فيها شرط من شروط الفصل التي بيّنها العلماء, وجب فصلها, نذكر منها:

**أ-** أن يكون بين الجملتين اتحاد تام بأن تكون الثانية:

- بدلا من الأولى: كآية الشعراء عند قوله تعالى: **أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ**[132-133]، وقد جاء في ذكر النعمة بالإجمال الذي يهيء السامعين لتلقي ما يرد بعده فقال: (الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ), ثم فصل بقوله: (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) وأعيد فعل (أَمَدَّكُمْ) في جملة التفصيل؛ لزيادة الاهتمام بذلك الإمداد, فهو للتوكيد اللفظي.

وهذه الجملة بمنزلة بدل البعض من جملة (أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ), فإنّ فعل (أَمَدَّكُمْ) الثاني وإن كان مساويا لــ (أَمَدَّكُمْ) الأول فإنما صار بدلا منه باعتبار ما تعلق به من قوله:

(بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ...إلخ) الذي هو بعض مما تعلمون. وكلا الاعتبارين التوكيد والبدل يقتضي الفصل، فلأجله لم تُعطف الجملة.

- أو بيانا لها: نحو: **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ**... [طه: 160].فجاء قوله: **(قَالَ يَا آدَمُ)** بدون الواو؛ لأنه يوضح الوسوسة ويبين عنها، ولو أنه جاء بالواو لأوْهم المخالفة والتغاير. وقال ابن عاشور: "وجملة **(قَالَ يَا آدَمُ)** بيان لجملة فوسوس إليه الشيطان. وهذه الآية مثال للجملة المبينة لغيرها في علم المعاني".

- أو مؤكدة لها نحو: **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا...** [الطارق: 17]. والتمهيل: مصدر مهَل بمعنى أمْهَل، وهو الإنظار إلى وقت معيّن أو غير معيّن، فالجمع بين(مَهِّلْ)و(أَمْهِلْهُمْ)تكرير للتأكيد؛ لقصد زيادة التسكين، وخولف بين الفعلين في التعدية مرة بالتضعيف وأخرى بالهمز؛ لتحسين التكرير.

ويقال في هذه المواضع إنّ بين الجملتين كمال الاتصال.